المواعيد

في الادب العربي

— ٩ —

بقلم : كاتب كبير معروف

قال معاوية لابن العاص: « ان الامر لينتقض اذا كذب ذووه في — الوعد والوعيد — واعطوا على الهوى لا على الغناء » .

قال ابن هرمة في المنصور :

فأم الذي آمنت آمنة الردى ... وام الذي اوعدت بالثكل ثاكل

ومن المستملح ما قاله قدامة بن جعفر في كتابه « نقد النثر » وقد يخلف الرجل الوعد بفعل ما هو اشرف منه ، فلا يقال قد اخلف وعده ؛ وذلك كرجل وعد رجلا بثوب فاعطاه الف دينار ، فقد تفضل عليه وان كان قد عمل به خلاف ما وعده ؛ فلا يسمى ذلك مخلفاً لوعده ، وبهذا تعلق من ابطل الوعيد ؛ فزعموا ان انجاز الوعد كرم ، وان اخلاف الوعيد عفو وتفضل وانشدوا :

وكنت اذا أوعدته أو وعدته ... لأخلف إيعادي وانجز موعدي

قال امير المؤمنين عليه السلام : « امنع الناس من عرضك بما لا ينكرونه من فعلك » .

وما فعلك الذي تصون به عرضك من الذم ونفسك من القبح الا « تعهدك » وحسن قيامك على كل امر انيط بك انجازه وطلب منك انهاؤه ، فانت متكلف به دون سواك فان قمت باحكامه على الوجه الصحيح وفي الزمن المخصص له فقد أديت واجباً انت مسؤول عن ادائه ، وقد أحسنت الى من ظن فيك الاحسان ، وبذلك تنجو من سوء الاحدوثة وقالة السوء ، وحسب المؤمنين ما ندبهم الله تعالى شأنه اليه من الوفاء فقال « واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » .

قال اعرابي في وصف رجل : « كان له علم لا يخالطه جهل ، وصدق لا يشوبه كذب ؛ وكان في الجود كأنه الوبل عند المحل ! »

قال المتنبي :

اذا سأل الانسان أيامه الغنى ... وكنت على بعد جعلتك موعدا

وله :

ووعدك فعل قبل وعد لأنه ... نظير فعال الصادق القول وعده

وله :

أمسيت اروح مثر خازناً ويداً ... أنا الغني واموالي « المواعيد »!

وله :

الى فتى يصدر الرماح وقد ... انهلها في القلوب موردها

له أياد الي سابقة ... أعد منها ولا أعددها

يعطى فلا « مطلة » يكدرها ... بها ولا « منة » ينكدها

وله :

لقد حال بالسيف دون الوعيد ... وحالت عطاياه دون الوعود !

فانجم امواله في النحوس ... وانجم سؤاله في السعود

وله :

ويصطنع المعروف مبتدئاً به ... ويمنعه من كل من ذمه حمد

أيمثل ابحاثك هذه (الناضجة) أم باستنتاجاتك تلك (المدهشة) .

لماذا لم تتصور يا دكتور بان البحث خطير ، والطريق غير لاحب فتجعل لك خط رجعة عند اللزوم تخلصك من المحاسبة والنقد ؛ وتخرجك من هذا المأزق الضيق الذي ادخلت نفسك فيه ادخالاً وانت على غير استعداد ولا إحاطة ، بعد ان عرفت بانك جئت في آخر القافلة وقد بعدت عليك الشقة تدب دبيب النمل ، لم لا تصورت كل هذا فتحجم عن فتواك هذه [انتهت الى الفتور فالانعدام] وانكارك للتقريض المثبت في الديوان ؛ فلو تصورت كل هذا لما قلت ولما كتبت ، وكم يفت في العضد أن يقرأ ذلك كاتب اجنبي ثم يعثر على ديوان العمري فيجد خلاف ما قلت ، وانت استاذ كبير ودكتور شهير نريد ان نفاخر بك مصر ، كما ترغب ان تنقد الدكتور طه حسين في — مجلة البطحاء — لتري القراء انك الكفؤ والملاكم لطه حسين ؛ وبعد هذا أفلا يحق لي أن اقول لك : ما هكذا تورد يا دكتور الابل ، والى اللقاء في العدد القادم .

علي الخاقاني

تلك سجايا الرجولة وشيم الاحرار في الوفاء بالعهود والمواعيد أما الخلف واما المطل فيها من سجايا النساء فكما ان انجاز المواعيد مدح في الرجال كذلك هو شأن المطل عند النساء فهو مدح لهنّ ! فللفحول اخلاق وللاناث اخلاق ؛ ومن هنا قال المتنبي :

ممثلة حتى كأن لم تفارقي وحتى كأن الياس من وصلك الوعد!

اذا غدرت حسناء « وفت » بعهدها !

ومن عهدها ان لا يدوم لها « عهد » ؟ !

كذلك اخلاق النساء وربما يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد

قال الحكم بن عبدل :

اني رأيت الفتى الكريم اذا رغبته في صنيعه رغبا

والعبد لا يحسن الكلاء ولا يعطيك شيئاً الا اذا رهبا

وما ألطف ما قاله بشر بن المغيرة بن ابي صفرة :

وكلكم قد نال شبعاً لبطنة وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه

ويقول الاحمر بن سالم المرادي :

فلما افاد المال عاد بفضله لمن جاءه يرجو نداه مؤملا

واعطى جزيلا من اراد عطاءه

وذو البخل مذموم يرى البخل افضلا !

سأل معاوية : الحسن بن علي عليه السلام عن المروءة ، فقال : « هي حفظ الرجل دينه واحرازه نفسه من الدنس واكرام ضيفه » .

ولبعض الشعراء في المواعيد الكاذبة :

لا يكذب المرء الا من مهانته أو عادة السوء أو من قلة الادب

ليعض جيفة كلب خير رائحة من كذبة المرء في جد وفي لعب

***

انظر ، رعاك الله ، كيف تزهو قلائد الشعر ولئآلئ النثر في اشادتها بالوعود الصادقة والعهود الكريمة ، يحليها الوفاء ويزينها الاداء ، وليس من دليل على خلف الوعود ومطلها غير انتكاس الاخلاق وموت الضمائر واضطراب الهمم ...

قال ابن الرومي :

وحاكة شعر حسنوا القول منهم ومنك ومن « افعالك » امتاز حسنه

وله :

ولا مدح مالم يمدح المرء نفسه « بافعال صدق » لم تشنها الخسائس

قال المتنبي :

وسجاياك مادحاتك لا لفظي وجود على كلامي يغير

وقال ابو تمام وهو عكس الذي تقدم آنفاً :

عياش انك للئيم وانني اذ صرت موضع مطلبي للئيم

***

كان مسلمة بن عبد الملك ، اذا كثر على بابه اصحاب الحوائج وخاف ان يضجر منهم قال لآذنه : ائذن للسائي ، فيأذن لهم فيفتن ويفتنون في محاسن الناس ومروءاتهم فيطرب لها ويهتاج عليها ، ويصيبه ما يصيب صاحب الشراب فيهتز للاريحية وللمكارم الاخلاق ، فيقول لحاجبه : أيذن لاصحاب الحاجات ، فلا يبقى أحد الا قضيت حاجته !

***

قال الاعشي يمدح النعمان :

ولم أر للحاجات عند التماسها كنعمان نعمان الندى ابن بشير

اذا قال « اوفى » ما يقول ولم يكن كمدل الى الاقوام حبل غرور

ولبعض الشعراء :

ليست « نعم » منك للعافين مسجلة من التخلق لكن شيمة خلق

ساهمت فيها وفي « لا » فاختصصت بها

وطار قوم « بلا » والذم فانطلقوا

***

أيها العراقي ، موظفاً كنت أو غير موظف !

هذه « نعم » الممدوحة ؛ وتلك هي « لا » الذميمة المهجوة فاختر لك احداهما ، وما أراك تختار الا ما يكسبك حمداً ومجداً وسؤدداً .

فلقد مرّ بك مدح وهجاء ؛ مدح خالد للاوفياء الصادقين في وعدهم وعهدهم ، وهجاء للمطل والخلف ؛ وصاحب الخلف جدير بسوء الاحدوثة والمقت والتشهير ! فأي الرجلين اذن تكون ؟ .

***

وقبل ان اختم موضوع « المواعيد » ابسط للقاري الكريم حكاية أو حكايتين ، فيهما عرض بسيط للذي نحن بصدده من قضاء الحاجات والوفاء بالوعد وفاء لا يشوبه مطل ولا يكدره تسويف

« يتبع »

كاتب كبير